(كيف لا نشهدُ للتي يشهدُ لها الخلود)

صار الجوّ ُ يَميلُ إلى البرودة

يُطلقُ النسماتِ العليلةَ مِنْ هنا وهناك

ومِنَ الجهاتِ الأربعِ في البستان

حتى إنّ َ الجهاتِ الأربعَ تُصبحُ جهةً واحدة

وأنتَ فيكَ تتلاشى المُسَمّ َيات

فلا جسمُكَ ذو ماهيّةٍ ولا رُوحُك

كُلّ ُ الاعتباراتِ الوجودية تختفي

إلا اعتبارَ كينونتِكَ بلا قيد

إنّ َكَ تُحسّ ُ بذلكَ وقتَ قربِ أُفولِ الشمس

وقتَ احمرارِ السماءِ، وقتَ استعدادِ النهارِ للرحيل

وقتَ هبّ َاتِ قشعريرةٍ تنتابُ جسمَكَ مِنْ لسعةِ بردٍ دافئة

وقتَ رقصةِ خيوطِ الطبينةِ البيضاءِ أمامَك

وقتَ تلمحُ ثقباً متوهّ ِجاً يتوارى بينَ أكوامِ طبينتِه

وقتَ انصبابِ شايِكَ مِنَ القوري الذي اختفى أساسُ لونِه

وقتَ رشفِكَ للشاي ولا تدري أَلَهُ تقولُ اللهَ ..!

أم للشمسِ المذبوحةِ في كبدِ السماءِ أم للنسماتِ العليلة

أَ لخيوطِ الطبينةِ أم لرائحتها أَمْ، أَمْ

أم لكُلِّ ذلكَ بحيثُ لا تَشعرُ مِنْ أينَ تأتيكَ اللذَّة

لهذا يتبادرُ يحضرُ في ذهنِكَ الجمالُ المطلَقُ، الكمالُ المطلَق

ينطقُ بلفظِ الجلالةِ لسانُك

وبعفويَّةٍ تجدُ نفسَكَ تقولُ اللهَ اللهَ ..!

هكذا أنتَ حينَ تتعجَّبُ، حينَ تتلذَّذُ، حينَ تُسْحَرُ بالأشياء

هكذا ينبغي أن يكونَ سِحْرُ قصيدتِكَ، ولا ينبغي أن تكونَ قصيدتُكَ أقَلَّ مِنْ ذلك

قصيدةُ شطريك، قصيدةُ تفعيلتِكَ، قصيدةُ نثرِك

هكذا تعودُ إلى القصيدةِ وإليكَ هي تعود

هذا هو مقامُكَ فيها وهو مقامُها فيك

فكنْ أنتَ ودعْ مَنْ قالَ إنَّ قصيدةَ النثرِ لها ترتيبٌ خاص

دعْهُ وشأنَهُ وتَسَامَ وشأنَك

إنّ َ شأنَ قصيدةِ نثرِكَ أن تكونَ أنت والمتلقي معها

ككونِكما في البستانِ، ككونِكَ فيهِ بحيثيّ َاتِه

في المكانِ في الزمانِ نفسَيهما

في اللحظةِ التي قلتَ فيها ا ا ..!

هي لحظةُ قصيدةِ نثرِكَ التي يُقالُ فيها ولها

أنا أقولُ فيها ولها وأنت

أنا وأنتَ وبائعُ الحشائشِ في سوقِ الخضرة

أنا وأنتَ والأطفالُ النازلونَ مِنْ حافلةِ روضتِهم

أنا وأنتَ ومَنْ يَصبّ ُ الفولَ مِنْ جَرّ َتِهِ في الصحن

ومَنْ يأكلُ الفولَ في المطعمِ أيّاً كان

تشهدُ لذلك دقّ َاتُ قلبِه

تشهدُ رائحةُ البصلِ المنبعثةُ مِنْ مضغِه

تشهدُ الزيتونةُ التي سقطتْ في حضنِه

تشهدُ نسمةُ طبينةٍ جاءت تُحيّ ِيهِ مِنَ البستان

وأنا وأنتَ نشهدُ لقصيدةِ نثرِك

للتي خرجتْ عن ترتيبِها المعلَنِ المُجتَرِّ الخاص

للتي عرفتْنا كُلَّنا وعرفتْ طريقَها

لها نشهدُ قطعاً نشهد

كيف لا نشهدُ للتي يشهدُ لها الخلود.